جليلة بكّار



البحث عن عائدة

مونودراما عن المأساة الفلسطينيّة

دار الجنوب للنشر - تونس


المسرح الحي

جليلة بكّار

البحث عن عائدة

مونودراما عن المأساة الفلسطينيّة

79 نهج فلسطين – 1002 تونس
e.mail: sud.edition@planet.tn

ISBN 9973-844-11-4

صور الغلاف والداخل من إنجاز نبيل السعيدي

تـــقـــديـــم

هذا النصّ المسرحيّ "البحث عن عائدة " هو نصّ عن فلسطين كما تحسّها كاتبة النصّ جليلة بكّار وهو نصّ عن جليلة بكّار في علاقتها بفلسطين.

إنّه بحث في معنى هذه العلاقة الثنائيّة.

كتبت الفنّانة جليلة بكّار هذا النصّ المسرحيّ وقدّمته في مونودراما مسرحيّة من إخراج الفاضل الجعايبي في عرضها الأوّل على خشبة "مسرح بيروت" في العاصمة اللبنانيّة في أيار / ماي عام 1998 في إطار الفعاليات الثقافية التي نظمها الكاتب إلياس خوري وثلّة من المثقفين اللبنانييّن في ربيع تلك السّنة إحياء لذكرى نكبة فلسطين عام 1948 تحت شعار "50 سنة نكبة ومقاومة

وتلت العرض الأول في بيروت عدّة عروض في تونس وسوسة وباريس والرّباط والبرتغال وعمّان كان آخرها في العاصمة التّونسية في ديسمبر عام 2001.

تتألّف المسرحيّة من مدخل وخاتمة يضمّان بين جناحيهما ثمانية مواقف تحكي التاريخ، تاريخ الناس الفلسطينيّين والتونسيّين، تاريخ الأفكار وتاريخ المعرفة والإدراك وتاريخ الحواسّ، تاريخ كلّ شيء في تلك العلاقة الثنائيّة بين جليلة بكّار التي كتبت هذا النصّ كمن يكتب دمه عبر أدقّ الشرايين وأكثرها شفافيّة. وبين عايدة

الفلسطينيّة الغائبة في النصّ الحاضرة في روح الكاتبة، الممثّلة التي جاءت تَبحث عنها في بيروت، تونس وباريس وعمّان...
بلا قناع ماني مختفية وراء أيِ شخصية مسرحيّة.

منذ البدء تضع جليلة بكّار الحقيقة أمام جمهورها تَهزّ وعي الّذين غاب عن وعيهم تلك العلاقة بينها وبين فلسطين. إنّها علاقة كما العلاقة بين الرّوح والرّوح، العقل والعقل، القلب والقلب، الجسد والجسد لا يمكن أن تحضر إلا كثنائيّات، كتوائم لا تنقسم على نفسها حتّى و لو خضعت إلى مباضع الجرّاحين.

" تتساءلون لماذا أبحث عنها هنا

لأنني أعرف أنّها هنا

و كيف أعرف أنّها هنا

لأنها تعلم أنّني هنا."

إنّ بساطة هذا الخطاب تكمن وراء رغبة النصّ في اليقين المعرفي في محاولة لوضع اللّغة والمعرفة خارج الوعي الفلسفي وكأنما هناك رغبة تسكن في الجسد أكثر ممّا هي تكمن في العقل.

ربما يكون مدخل المسرحيّة هو الإطار الذي يلخّص لنا تلخيصا كثيفاً وعميقاً الفكرة بمجملها لهذه العلاقة الثنائية بين جليلة بكّار وفلسطين وهو البوّابة التي تفتحها لنا الكاتبة لندخل إلى أعماقها ونلمس جراحها

" منذ أن تعرّفت عليك

لم أتخلف و لو على موعد معك

عايدة... عايدة...

كم كنت سعيدة

قبل أن أسمع عنك

و أن أتعرّف عليك
و قبل أن أدرك
أنّه توجد في هذه الدنيا
أرض اسمها
فلسطين"

إن الالتحام بين الشخصيّتين يعطينا فرصة أفضل للقراءة ويجعل النصّ كأنّه جسد ماديّ لا ينفصل بالعلاقة الغامضة للغة مع الحقيقة. ولو نحيّنا جانبا ذلك الغطاء الشفّاف للغة فإنّ النصّ يوفّر لنا معرفة من السّهل تأويلها حتى من خلال الحواسّ.

النصّ هنا يقدّم رموزا ترى تحت أضواء خاصّة تنبع من إدراك العلاقة بين الكاتبة ومصدر مأساتها أي فلسطين. إنّ تراكمات الحياة تتجمّع هنا بين جناحي المدخل والخاتمة.

في بعض المطارح ما كتب كتب بعمق وحساسيّة بحيث إن الكلمات تبدو كأنها لا تقرأ إلا من خلال حاسة اللّمس لا من خلال العيون.

يستعرض النصّ تاريخ فلسطين وتاريخ تونس منذ عام 1948 وقبل شهور قليلة من حدوث النّكبة وإلى الانتفاضة الرّاهنة وما طرأ على العالم بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 (هنا إضافات جديدة أدخلتها الكاتبة على النصّ الأصلي الذي كتب عام 1998).

تتميز بنية النصّ بثنائيّة دائمة لا تفارقه إن كان من خلال لجوء الكاتبة إلى العربيّة الفصحى في مخاطبتها عايدة أو الجمهور، أو اللّجوء إلى العاميّة التونسيّة حين تحكي ذاتها وواقعها التونسيّ. وكأنّ الفصحى هي الوسيط الأمثل للوصول إلى عايدة المشتتة في أصقاع الأرض، رغبة من الكاتبة في التوحّد مع توأمها الغائبة،

الحاضرة، البعيدة، القريبة. أو من خلال فلسطين – تونس والأحداث التي حدثت هناك والتي حدثت هنا، وكأنّ كلّ طرف هو انعكاس طبيعيّ للطرف الآخر في خطّين متوازيين لا يلتقيان عند نقطة ولكن يبعثان إشعاعات لا مفرّ منها كلّ في اتّجاه الآخر مثل توأمين في جسد واحد لا ينفصلان، يتنفّسان الهواء نفسه ويعيشان الألم نفسه ويستمعان إلى نبضات قلب واحد يحلم حلما واحدا في التحرّر والتوحّد.

نكبة فلسطين عام 1948 كانت هزيمة مريرة لكلّ العرب وليس للفلسطينيين وحدهم، جليلة بكّار التونسيّة لم تكن بحسب النصّ قد ولدت بعد، لكنّها تحمل في وعيها آثار تلك الهزيمة كنوع من الخطيئة الأصليّة التي تورث كاللّغة ولكنها كتونسيّة تتماهى مع الشعور العامّ لدى شعبها في رفض الهزيمة. فهي تخبرنا عن خال أمّها عبد الرزّاق الذي تطوع مع آلاف التوانسة

" يحبّ يدافع على فلسطين، قطعوا ليبيا ووصلوا للحدود المصريّة ،
وقفوهم و سجنوهم...
قالوا له روّح حرّر بلادك...
بلا فلسطين... "

هنا تستحضر ذاكرة جليلة بكّار ليس الهزيمة التي حدثت عام 1948 وحسب إنّما العجز العربيّ الذي ساهم في الهزيمة والهزائم التي تلتها وخاصّة نكسة عام 1967 ففي تلك الحرب قامت **وحدة من الجيش التونسي يقودها الضابط الشابيّ ابن أبو القاسم الشابيّ الشاعر بالاستعداد للالتحاق بالجيوش العربيّة الأخرى أما عمرها ما عدّات الحدود التونسيّة الوقت ماكفاهاش. ستّة أيام... ستّة أيام برك و تهزمت الجيوش العربيّة..."**

إنّ هذا النصّ المؤلم الّذي يصفع ذاكرتنا جميعا يبيّن لنا أن الموضوع الفلسطينيّ ومنذ عام 1948 أصبح الموضوع المركزيّ في الثقافة العربيّة وأصبح المحور الذي يستولد من رحمه أسئلة كثيرة وكأنّما لم يكن من الممكن التعامل مع السؤال الفلسطينيّ من غير أن يواجه المثقف العربيّ في إبداعاته المعضلات الّتي تؤثر في وجوده نفسه كمثقف ومختلف حيثيات هذا الوجود في مجتمعه بالذّات.

وإن كانت حدّة السؤال الفلسطينيّ قد خفتت في بعض المحطات التاريخيّة في الثقافة العربيّة إلا أنّه بقي حاملا للأسئلة وفي هذا النصّ تغوص جليلة بكّار في أعماق التجربة التاريخيّة ولا تستثني ذاتها و مجتمعها الخاص بالنقد.

تحضر فلسطين في هذا النصّ ليس للبكاء وإن كانت تحمل وجعا لا نستطيع أن نتداركه، ولكنّها تحضر مثل ضوء ساطع يكشف الغطاء عن الوهن والشحوب في البنى الاجتماعيّة والسياسيّة وفي الوعي العام.

إنّه حضور محرّض ومستفزّ للذاكرة ولكلّ المشاعر المختلفة التي أصيبت بنكوص فاختبأت في أشدّ المطارح عتمة في أعماق التاريخ.

نصري حجاج (كاتب فلسطيني)

تونس – فيفري / شباط 2002

فاميليا للإنتاج

البحث عن عائدة

النصّ	جليلة بكّار
الإخراج	الفاضل الجعايبي
التوضيب	نرجس بن عمّار
توضيب الإنارة	أحمد الحاج محمد
إدارة الإنتاج	الحبيب بالهادي

الشكر والامتنان إلى

قيس رستم

نصّري حجاج

هشام الشيرشي

إدارة فضاء مدار قرطاج

المدخل

إمرأة في السّادسة والأربعين من عمرها
في يدها ملفّ
تدخل كأنّها تبحث عن شخص
تتقدّم مبتسمة
تحدّق في المتفرجين
تقف أمام منصّة

عايدة ...عايدة

جيت على خاطرك

نحبّ نراك... نشوف ملامحك

نسمع صوتك... ضحكتك

مازلت تعرف تضحك ؟

نظرتك مازالت حادّة حيّة وإلاّ طفات

شعرك... طويل... قصير... مسرّح... مسيّب

وإلاّ محجوب عن الأنظار

آش بيك ما تحبّش تقابلني

بالك تظنّ جيت لهنا

باش نمثّل

لا.... جيت وحدي ... بقدّي

... بلا قناع

ماني مختفية وراء أيّ شخصيّة مسرحيّة

... نحبّ نقابلك

... نراك ...

نحكي معاك

العين في العين

جيت على خاطرك

عايدة

تتوجّه نحو الخروج
ثمّ ترجع

تتساءلون لماذا أبحث عنها هنا ؟

لأنّني أعرف أنّها هنا

وكيف أعرف أنّها هنا

لأنّها تعلم أنّني هنا

بديهيّ... لا؟

لعلّها خرجت من هنا إلى مكان آخر مجهول

عايدة

عايدة علاش ما تحبّش تقابلني ؟

صارت حاجة قلّقتك ؟

عايدة

نعرفك هنا

علاش ما تجاوبنيش

تحبّهم يقولوا عليّ

مجنونة تحكي مع مجهولة

لا عايدة

ماكش مجهولة

صورتك دابغة هوني

نغمّض عينيّ نراك

نحلّهم تغيب

مهلة

منذ أنّ تعرّفت عليك

لم أتخلّف ولو مرّة على موعد معك

عايدة

عايدة

كم كنت سعيدة

قبل أن أسمع عنك

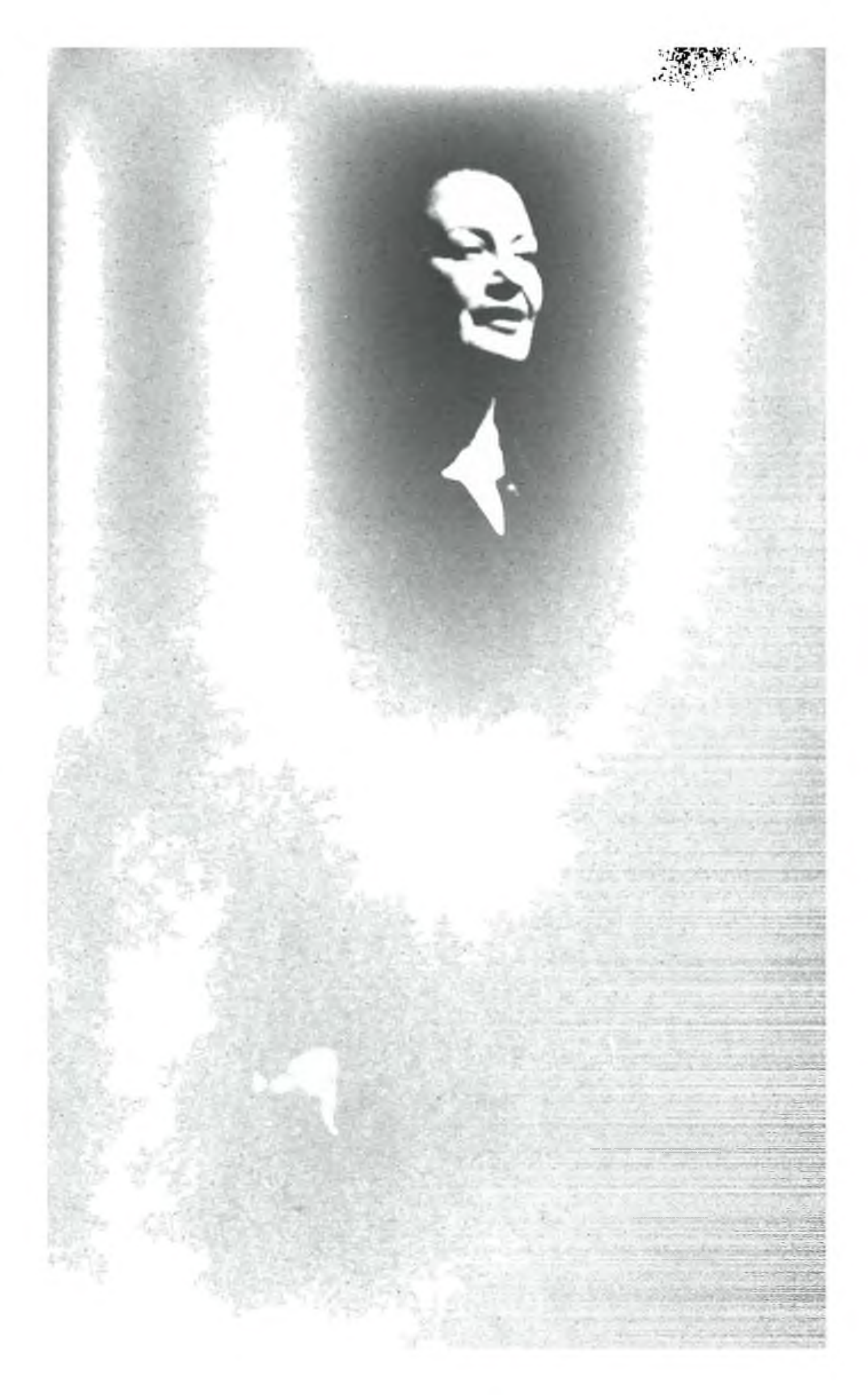
وأن أتعرّف عليك

وقبل أن أدرك

أنّه توجد في هذه الدّنيا

أرض إسمها

فلسطين



الـــمـــوقـــف I

تحمل الملفّ

تقرأ

عايدة

جئت لأتذكرّ معك

الذّاكرة شيء جميل

رائع وقاسٍ

في نفس الوقت

صور...

روائح....

أصوات...

أحاسيس...

حتّى لو حاولنا فسخها....

فهي تبقى غصبا عنّا...

عايدة... أعرف

أعرف أنّه

عندما كانت عائلتي ومدرستي تعلّماني

أنّه شيء أساسيّ وطبيعيّ

أن تكون لنا أرض

أن يكون لنا وطن

بيت يحمينا

نعيش فيه أسيادا

كنت أنت منذ أعوام

تعيشين السّنوات الأولى للمأساة...

عايدة

كم كان سنّك في ذلك اليوم من أفريل 1948 ؟

ثلاث سنوات ؟

ماذا كنت تفعلين؟

تلعبين ؟ ترقصين ؟ تضحكين ؟

تغنّين جاهلة ما كان يحدث

عايدة أتتذكّرين ؟

أتتذكّرين خوف أمّك وجدّتك

أمام القصف اليهوديّ على **يافا**، مدينتك؟

أتتذكّرين خوف أبيك عندما رجع في الصّباح الباكر

بعد ليل قضّاه في الدّفاع عن **يافا**

ضمن جيش الإنقاذ ؟

أتتذكّرين صوته

وهو يحاول إقناع أمّك وجدّتك

بالهروب على متن باخرة

ستبحر إلى بيروت ؟

أتذكرين استسلامه أمام رفض جدّتك

مغادرة المدينة التي ولدت فيها

والتي دفن فيها زوجها ؟

أتتذكّرين موافقته على اقتراح أمّك

الانتقال بكم إلى بيت أخيها في **حيّ العجميّ**

حتّى تــــهدأ الأمور...

أتتذكّرين ؟

تقعد على الكرسيّ وسط الرّكح

نعم ...أعرف أنّك تتذكّرين

تتذكّرين كلّ هذه الأصوات والوجوه

وأنت بينهم تحدّقين في وجه ثمّ وجه

متسائلة متى... ستستطيعين اللّجوء

إلى الشّاطئ أمام البيت

لتلعبي وتبحثي عن الصّدف

حتّى تكمّلي العقد الذي بدأت جدّتك صنعه لك

تتذكّرين

تتذكّرين قبلة أبيك المبلّلة بالدّموع

ودهشتك أمامها

إذن الرّجال أيضا يبكون ! !...

تتذكّرين رائحته وهو يضمّك إليه

عرق... مسك عطر فوّاح...

وترينه

ترينه يخرج

ترينه لآخر مرّة....

صمت

وترين أمّك تأخذ حقيبة

وتملأها ملابس وحاجيات يوميّة..

وترين جدّتك تنظر إليك

ثمّ تمسك بيدك وتضمّ

قائلة لك اتبعيني... اتبعيني...

فتدخل بك إلى الغرفة الأولى

وتقول لك " أغمضي عينيك

أغمضي واستنشقي...

عطر... رطوبة

بقايا برتقالة...

ثمّ تأمرك بفتح عينيك

" انظري... انظري إلى الحيطان وإلى السّقف

إلى المفروشات والصّور ....الكراسي والسّتائر

انظري وسجّلي

سجّلي كلّ ما ترينه يا ابنتي ولا تنسي شيئا...

وتتجوّل بك من غرفة إلى غرفة

ثم تخرج بك إلى البستان الصّغير

المزروع ليمونا وبرتقالا

وتـــهمس لك

" استنشقي رائحة البحر

ممزوجة بأريج أزهار البرتقال

سترجعك إلى يافا أينما كنت...

انظري إلى بيتنا

بيتنا من حجر وسقفه قرميد..."
ثمّ تقفل الباب وتسلّم المفتاح إلى أمّك
كانت آخر مرّة تشاهدين فيها بيتكم
في حيّ الرّشيد... في يافا
في يوم من أيّام أفريل 1948"

صمت

الــمــوقــف II

الممثّلة تتنقّل
تنزع كبّوطها تعلّقه
تاقف قدام طاولة
تهزّ كتاب قديم
تخرّج منه تصويرة مستصغرة
تورّي التّصويرة

48... أنا ما زلت ما تخلقتش
أما خال أمّي .... خالي عبد الرّزّاق
تطوّع مع آلاف التّوانسة ...
يحبّ يدافع على فلسطين
قطعوا ليبيا ووصلوا للحدود المصريّة
وقّفوهم وسجنوهم...
قالوا له "روّح حرّر بلادك...
بلا فلسطين..."
ترجّع التّصويرة في الكتاب
خالي عبد الرّزّاق اللّه يرحمه

مات من غير ما يفرح بفلسطين

أمّا تونس تحرّرت...

عام 56

وقتها انا تعرّفت على اليهود... يهود تونس

عرفتهم قبل ما نعرفك... **عايدة**

قرون متعاشرين مع العرب

بعدما هربوا من الأندلس

وحتّى قبل

هجّوا مشاوْا من تونس

واللّي قعدوا قلايل

يهود تونس

نحكيوْ عليهم في فرصة أخرى.

الـمـوقـف III

تبعد عن الطّاولة

تاقف وراء الكرسي

اليهود الّذين تعرّفت عليهم أنت

جاؤوا من بولندة..

تقاسموا معكم بيت خالك في **حيّ العجميّ**

حيّ العجميّ الذي قضيّتم فيه عشرين شهرا

فقد خلالها أبوك

وولد أخوك **ناصر**

عايدة

أتتذكّرين يوم رحيلكم إلى **أريحا**...؟

أتتذكّرين أين سكنتم ؟

في غرفتين من طين

في أحد البساتين

بعيدا عن **يافا**

بعيدا عن البحر

ترجع للمنصّة
تاقف قدّامها

أريحا أوّل مدينة فلسطينيّة نسمع بيها
في مارس 1965
حتّى القدس كنت نظنّها في السعوديّة قرب مكّة
أريحا، زيارة بورقيبة وخطابه
بورقيبة تتذكّروه ؟ ... دفنتوه ونسيتوه أنتوما زاده ؟
مارس 65... وقتها عرفتك... **عايدة**
قدّاش كان عمرك
عشرين سنة...
طالبة، آش كان وعيك ؟
حضرت على الخطاب؟...
كنت من بين اللّي سبّوه... وشتموه؟
وإلاّ من بين اللّي سمعوه...
أحنا في تونس سمعناه...
احنا معناها أمّي وبابا وأنا قدّ الشّبر
نسمع ونتساءل
الإذاعة التّونسية تشكر وتمجّد في الشّجاعة الأسطوريّة
وفي الرّأي السّديد للمجاهد الأكبر...

وصوت العرب في القاهرة
تسبّ وتشتم في الخائن الأكبر للقضيّة
وللأمّة العربية... عميل الإمبرياليّة... والصهيونية
والزّبدة المرحيّة
وأنا داهشه
آش نيّة **فلسطين** ؟؟
وبابا يشرح...
" بلاد عربيّة
افتكّوها احتلّوها لنا اليهود
وواجبنا نحرّروها ....كيف ما حرّرنا **تونس** و**الجزائر**
تاقف قدّام الكرسي
– أحنا ؟
– إيه أحنا !
– أحنا التّوانسة ؟
– لا أحنا العرب!
– آه...
وأمّي متعاركة مع **جمال عبد النّاصر**
أيّامها كرهتّه
– آش بيه عربي أكثر منّا ؟
كلّ واحد ورأيه

الفايدة موش في الكلام والخطابات الرنّانة

الفايدة في الفعل

المصارية معروفين فراعنة...

ما يحبّوا كان كلمتهم اللّي تمشي

خالي **عبد الرزّاق** موش طردوه عام 48

وقالوا له روّح حرّر بلادك بلا فلسطين

واحنا انّجموهم اليهود ؟

كان جاو وحدهم يمكن

أمّا معاهم الأنقليز والفرنسيس

باش يمسحوا ذنوبهم معاهم

هداولهم بلاد العرب ... ملاّ غلب.!!

تبعد عن الكرسي

ربّي معانا

- ربّي علاش معانا وموش معاهم أمّي؟

- على خاطرنا مسلمين

- العرب موش الكلّ مسلمين

هاو موسيو صابا Monsieur Saba جارنا

عربي سوري من حلب وأستاذ عربيّة

وحامل صليب على صدره هو ومرته

- بكلّ صفة الفلسطينيين مسلمين

جاوبها بابا : فيهم المسيحيّين...

سكّتته: عرب... **فلسطين** عربية

تدور

تبعد

تاقف

الــمــوقــف IV

تمشـي للطّاولة
تاخذ سـيكارو
تشـعّله

عايدة

علاش ما حبّيتش تجيء ؟

علاش ما حبّيتش تسمعني ؟

تعرف ؟ كلّ ما عشته انت عشته انا معاك

بقهرة قويّة... وبغلّ كبير...

كيفاش تحبّني ننسى هاك الصّباح الأظلم...

صباح 5 جوان 1967... ؟؟

الهزيمة ... الخيبة

نكسة أخرى لجيل آخر من العرب

أنا راقدة وأمّي تفيّق فيّ وتبكي....

– قوم... قوم... الحرب... الحرب

– وين... عندنا...؟

– إيه هجموا على مصر وسوريا والأردن

الدّنيا وقفت...

الإذاعة تبكي... تبثّ في أناشيد وطنيّة...

" ياشباب العرب

يا أهل الحميّة

هبّوا للطّلب

بقلوب قوّية

يوم الاتّحاد

فلنكن جميعا

ننادي لتحيا

الأمّة العربيّة

وقولوا لتحيا...

الوحدة العربيّة

وأنباء من المصادر العسكريّة

النّفس مقطوع

نحسبو في أعداد الموتى...

المجاريح المفقودين... الأسرى

جيش عرمرم مسلّم بسلاحه وبعتاده للصّحراء

هارب حافي...

الطّلبة خرجوا يتظاهروا ضدّ الصّهيونية

والإمبرياليّة...

ووحدة من الجيش التّونسي يقودها الضّابط الشّابي

ابن ابو القاسم الشّابي الشّاعر اللّي كتب

فعولن فعولن فعولن فعول

إذا الشّعب يوما أراد الحياة..

...فلا بدّ...أنّ يستجيب

فعولن فعولن فعولن فعول

الوحدة كانت تستعدّ للالتحاق بالجيوش العربيّة الأخرى

أمّا عمرها ما عدّات الحدود التّونسيّة

الوقت ما كفاهاش

ستّة أيّام .... ستّة أيّام برك وتهزمت الجيوش العربيّة

ستّة أيّام... الوقت اللي مكّن الرّبَّ الأعلى

من خلق العالم حسب التّوراة والإنجيل

واليوم السّابع ما ارتاحوش

تقبّلوا تهاني العالم المنبهر

أمام معجزة ها الجيش الصّغير

اللّي محقّ جيوش منطقة كاملة

Goliath ضدّ David

David وقف وتكسّل

مدّ ذرعانه وتوسّع

ولمّ على الكلّ

حتّى **القدس**...

صمت قصير

تطفي السّيقارو

ويقولولي انسى

ظلام

عايدة أعرف لماذا ترفضين الاستماع إليّ

لأنّه في ذلك الوقت

عندما أدركت أنا

عمر الحبّ الأوّل ورسائل الغرام

عشت أنت أشياء كثيرة

في تلك الفترة... ماتت جدّتك ودُفنت في أريحا

ودخلت أنت المقاومة...

وتعرّفت على "**سيف**"

"**سيف**" حبّك الأوّل والأخير...

معه وقفت...

ومعه قاومت... وصمدت

ومعه حلمت...

ومعه دافعت...

ومعه قاتلت...

ومعه قلت... أريد... أريد شيئا آخر

يرجع الضوء

تقعد على الكرسي

ومعه خرجت من فلسطين

من فلسطين إلى عمّان..

وفي مخيّم البقعة تزّوجت...

في شبه بيت

لم تكن فيه شجرة برتقال

ولم تكن فيه ولو زهرة واحدة...

لكنّ أمّك أهدت لك المفتاح

وقالت " لا تخافي يا ابنتي

إننّا لراجعون إلى بيتنا...

وسأعطيك غرفتي

وتختي... وجهازي...

وستخلّفين بنتا

وتزوجينها تحت شجرة البرتقال...

لا تنسي بيتنا من حجر وسقفه قرميد..."

أخذت المفتاح... ومنذ ذلك اليوم...

وكلّ صباح... أينما كنت

قبل أن تفتحي عينيك....

تفتحين باب بيتكم في يافا

وتتجوّلين فيه من غرفة إلى أخرى...

تتلمّسين الحيطان

تتّكئين على التّخت

تفتحين الخزائن والشّبابيك

لكي تخرج رائحة الرّطوبة...

تطوين الشّراشف

تمسحين صورة أبيك وأمّك... يوم زفافهما

وتقبّلين صورة جدّتك

ثم تقفلين البيت بالمفتاح

وتفتحين عينيك...

لتواجهي يوما جديدا آخر

من أيّام التشرّد والضّياع...

الـــمـــوقـــف V

ترجع للطّاولة
تعبّي كأس ماء
تشرب

سنة 70

ناصر مات وأمّي بكات

– علاه يا أمّي ؟

– على خاطر مات مغلوب...

والمغلوب انقلب على المغلوب

وكان سبتمبر الأسود...

ودخلت التّلفزة للبيوت

وصرنا نشوف... والمخبّي صبح مكشوف...

يهود تمحي في آثار العرب

تبني وتشيّد على أراضيها

وعرب تتقاتل عن بكرة أبيها...

ترجع للمنصّة

ما عاد فاهمة شيء... وما عاد نحبّ نفهم حتّى شيء

"لا... يلزمك تفهم

من واجبك انت تفهم"

الرّفاق قالوا

73 - 72

اليدين مرفوعة

الطّلبة تتظاهر على كلّ شيء

مقتنعة أنه في إمكانها تغيير الأوضاع

يكفي أنّها تخرج

وتقول لا... لا... لا...

"نحن هنا وموجودون والتّاريخ لن يكتب بدوننا"

هذا ما قاله الشّباب

في ميونيخ في ألمانيا

ألمانيا وماضيها القريب

الألعاب الأولمبيّة...

رياضة وسلام

وغرب متناسي

حامل نظّارات سوداء...

صرخ وقال...

"ما هذه الوحشيّة...

أيقتلون يهودا مسالمين...

تبّا لعديمي الإنسانيّة"

كم كنت معتزّة **عايدة** بتلك الوحشيّة

عايدة... كان تعرف

قدّاش حبّيتك وقتها...

قدّاش اشتهيت نضمّك ونقبلّك إنت وأصحابك

ما كنتش معاهم...

وين كنت ؟

من مخيّم إلى مخيّم

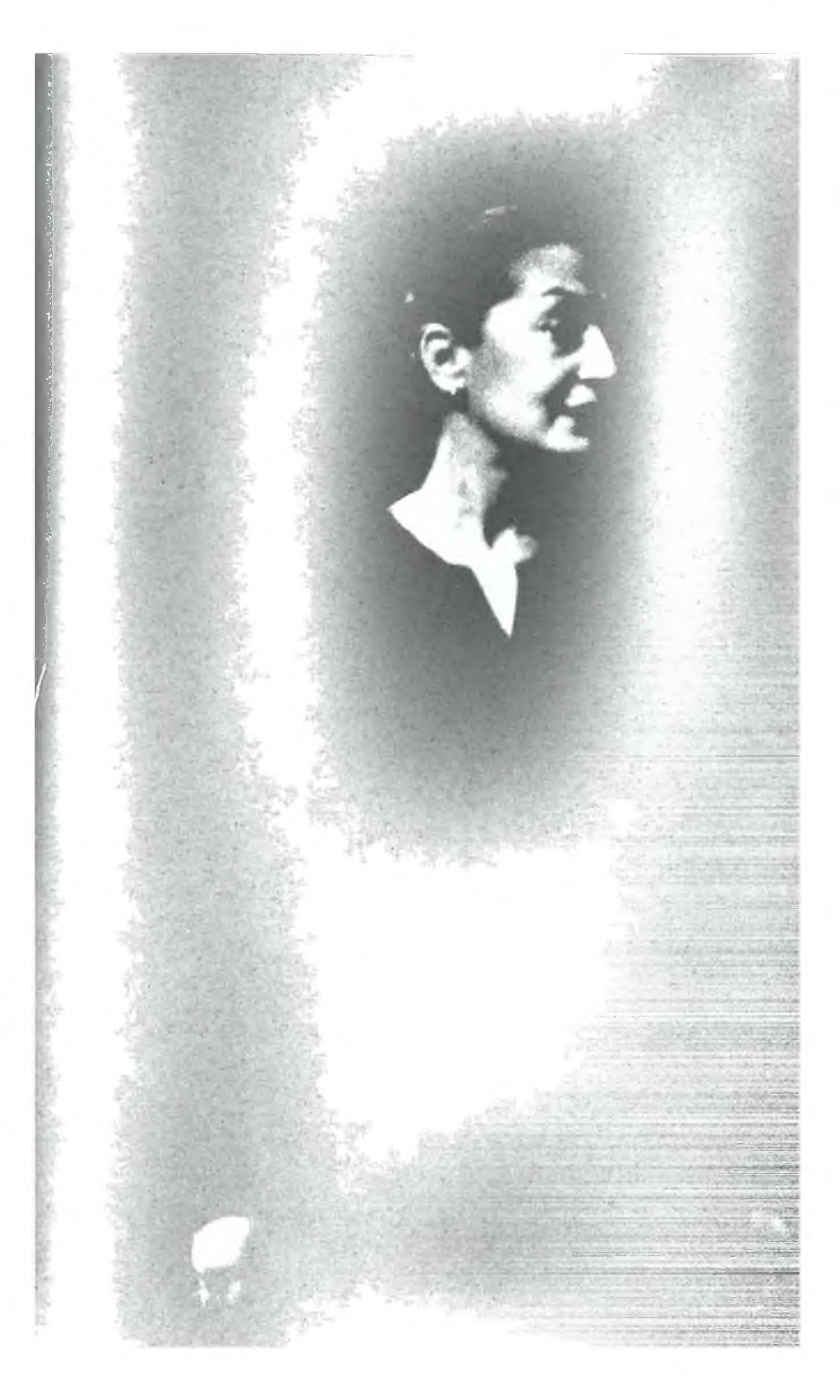
من بلد عربيّ إلى آخر

ومن حرب إلى حرب

من مخيّم **البقعة** في **عمّان**

لمخيّم **اليرموك** في الشّام

ثمّ إلى **بيروت**



الـــمـــوقـــف VI

تبعد عن المنصّة

عايدة ...عايدة

تعرف اللّي أوّل مرّة

كدنا نتقابلو فيها سنة 73 كانت في لبنان

أنا جيت في أوت

وإنت بعد حرب أكتوبر

كان أوّل جواز سفر ليّ...

أوّل سفر

وأوّل عرض خارج تونس

في مهرجان " **دير القمر**

بمسرحيّة **جحا أو الشّرق الحائر**

سمعت بيها ؟

الشّرق البعيد... القريب...

وانت كنت حامل ببنتك **جفرا**

اللي ولدتها في 7 ديسمبر 73

سيف سمّاها   على أمّه

كان مجنون بيها

وإنت أحلى ثلاثة سنوات قضّيتهم

رغم كلّ شيء...

وخاصّة رغم الحرب

حرب لبنان...

حرب الجنون

ايه... جنون

تخاطب القاعة

ربمّا هم في لبنان

لهم تفاسير منطقيّة ... دينيّة ... طائفيّة

موضوعيّة... سياسيّة.... استراتيجيّة

تاريخيّة.... جغرافيّة

لنوعيّات التّحالف والتّعادي

أمّا أحنا في تونس

كيفاش تحبّنا نتبّعو...

بالنّسبة لينا

لبنان جنّ... جنّ...

وجنونه يتّم "**جفرا**""

ورمل "**عايدة**"

لم تعرفي من أين أتت الرّصاصة

لكنّها أتت...

أهي من قنّاص مجنون

أم من عدّو مهزوم

أم من حليف مأمور..؟

الــمــوقــف VII

عايدة...

تونس

أحنا زادة في تونس ما كنّاش عايشين في جنّة

ماثمّاش حرب

أمّا صعيب تدافع على رأي ... وتتمسّك بموقف

أمام ضغوطات وتناقضات الحاكم،

تخاذل المثقّف وانتهازيّة الأغلبية

ترجع للمنصّة

سبتمبر 82

باخرة قادمة من بيروت إلى أرض الوطن

باخرة قادمة من بيروت إلى تونس

لم يُطردوا من بلادهم فحسب

بل من المنطقة كلّها

كان أخوك ضمنهم

جاء إلى تونس... وترك زوجته وأبناءه وأمّه

أمّا أمّك فقد فضّلت البقاء في بيروت

تركهم أخوك كلّهم في **صبره** و **شتيله**...

صمت

ليس لي أيّ تعليق

الهواء قلّ

الكلام ثقل.... ما عاد عنده معنى

جالسون أمام تلفزاتنا... نرى ونسمع

تعاليق التّلفزات الغربيّة

كان الغرب

متأثّراً... متأثّراً متأثّراً

فقط...

وبكت **جفرا**

وبكت **جفرا** على جدّتـــها

وبكت **جفرا** على جدّتـــها وعلى أبناء خالها

فاحتضنتها **عايدة** وقالت لها

" لا... لا تبكي

انظري...

المفتاح عندي...

مفتاح بيتنا في يافا...

بيتنا من حجر وسقفه قرميد

وحوله بستان

فيه شجر ليمون وبرتقال

ستكبر إبنتي وسأزوّجها تحت شجرة البرتقال

وستخلفّ أبناء

يملؤون

البيت ضحكا وصياحا

يلعبون في الشّاطئ

يصطادون السّردين...

ويبحثون عن الصّدف"

كتبت " لام " عام 82 و لم تقدّم في الصيّف

مُنعت المهرجانات الصّيفيّة

حدادا... إثر الاجتياح

ولم تقدّم إلاّ يومين بعد وصول باخرة الفلسطينيّين

ترجع للطّاولة
تأخذ الكتاب

تونس 82
الجرح معفّن
واليأس مسيطر
والغضب طالع

غضب ضدّ العدّو الغاشم
ضدّ الحاكم
السلطة اللّي سكّرت علينا البيبان
ضدّ جيلنا اللّي سلّم
وغرق في عركات جزئيّة
ثانويّة وعقيمة
ما العمل؟
وقفة على ركح مسرح صيحة...
المسرح منّعنا
المسرح أعطانا رقعة نتنفّس فيها
فكانت لام للمسرح الجديد

لام تناغم على ألف لآم ميم

ومنها ألم

ومنها أمل

ومنها مال

ومنها لام

لامَ يلومُ لوماً

وانتحر

لام مسرحيّة تنبّــئية

تحكي الهزيمة

أسود قاتم

خطاب متشائم في غرفة سوداء

وطفل في الثّالثة عشرة من عمره

يقطع لسانه

ويكتب بدمه على المرآة

الهواء قلّ

والكلام ثقل

ما عاد عنده معنى"

تحل الكتاب

تقرأ

ويقول قبل ذلك

"يا ناس... يا أحبابي

عرفتكم أحرار

ريتكم تتظاهرو

شفتكم تجريو

العين نار

الذّراع يتوعّد

الرّيق ناشف

والكلام جهار

شفتكم تبكيو

على الرّجال المغلوبة

النّساء المحجوبة

اليدين المضروبة

الحقايق المقلوبة

الأرض المغصوبة

والآمال المصلوبة

فينكم يا أصحابي ؟

آش صادكم يا ناسي ؟

آش بيه حسّكم قلّ ؟

آش بيه ذراعكم ملّ ؟

آش بيه راسكم ذلّ ؟

آش بيه شرابكم يا أحبابي

آش بيه شرابكم.. خلّ ؟..."

الـــمـــوقـــف VIII

تونس

تونس اللّي أصبحت منذ سنوات قليلة المقرّ الرسمي

للجامعة العربيّة

بعد ما مشى السادات للكنيسيت

وجلس بين بيغين وموشي ديان

بعد ما صافح وقبّل

واحنا نتفرّجو باهتين

دمّ شهداء 67 شربته الصّحراء...

وتنسى...

تونس اللّي عاشت أيام صعيبة

بين أحداث 26 جانفي 77

تصادم فيها البوليس والجيش مع النّقابيّين

وأحداث الخبز في جانفي 83

تونس أصبحت قبلة الزّائرين

ومفترق ثنايا

من اللّي احتضنت منظّمة التّحرير

أكتوبر 85

العاشرة صباحا

انفجار

الإذاعة التّونسية : علمنا أنّ طائرات حربيّة

مجهولة الهويّة

قد قامت بقصف جوّيّ

على منطقة **حمّام الشاطىء**

طائرات مجهولة الهويّة ؟

مجهولة الهويّة حتّى آخر العشيّة !

أمّا التلفزة الإيطاليّة

من الصّباح

خبّرت آش كونهم

منين جاوا وكيفاش

وجاوبت على بعض تساؤلات التّوانسة

أسئلة ...أسئلة...

رسميّاً بلا أجوبة

أسئلة

أسئلة ابتلعناها وأخفيناها

لكي لا تؤدّي بنا إلى شعور جديد

لم نعرفه من قبل...

الشّعور بالذّنب

لكنّ هذا الشّعور وجد طريقا جديدة

ولجت مشاعري وسكنت أحلامي

نمت ليلة فحلمت بنفسي حاملا

جنين في بطني...له كل الصّفات التي تمتلكها اللّغة العربيّة

فكانت **عرب**

مسرحيّة أخرى للمسرح الجديد

سنة 87

مسرحيّة تحكي الهزيمة

ترفض الأمر المقضيّ

والحاضر المرّ

تقول فيها **حوريّة** الحبلى من **سيف**

المقاوم الفلسطيني اللّي استشهد في بيروت

تقول لــ**خليل** صاحبه التّونسي المهزوم والمسلّم

"**إنت ما تؤمن بشيء**

وأنا نؤمن بتوّه .. بغدوه

ببعد غدوه

نؤمن بهذا

تضع يدها على بطنها

لو كان نخمّم لحظة

اللّي باش يطلع لي كيفك

مهزوم... مسلّم...

نفرّي كرشي حالاً

نفقسه في سطل ماء

نحبّه حرّ

كيف بوه

يسوى ألف من بوه

يكبر لي شوكته واقفة

أنيابه تشرّق

غليظ...

شديد...

مقدام...

منتقم...

رابح...

منتصر...

معزّ...

قويّ...

محارب...

مجاهد...

صامد...

عاشق...

عالم...

فالح...

ذكيّ

سخيّ

طيّب...

حليم...

نولده بعيد عليكم

معشر الخاسرين"

يجاوبها خليل

"هذا موش بطل

هذا هو المهدي المنتظر

صمت

الهزيمة أصبحت شيئا عاديّا

يعايشنا

يواكبنا في كلّ حين

تغيب
وترجع بجنب الطّاولة

حتّى اندلعت شرارة أولى لأمل جديد

في 7 ديسمبر 87

عندما مسك أوّل طفل فلسطيني من **مخيّم جباليّا** في غزّة

أوّل حجرة

ورجم بـــها أوّل جنديّ يهوديّ

فوقفنا وراء هذا الطّفل

معتزّين بـــهذا الجيل الجديد...

جيل ابنتك وابنتي...

لكنّهم أتوا

إلى هنا

إلى تونس

في أفريل 88

أتوا في عتمة اللّيل

واغتالوا أبو جهاد

لكي يطفئوا شرارة

أوشكت أن تكون نارا حارقة

كيف أتوا ؟

كيف وصلوا إليه ؟

ألم يكن تحت حماية

سيدي بوسعيد الباجي ؟

أسئلة أخرى

أسئلة... أسئلة

وأجوبة... لم تكن مقنعة

وأدّت هذه الشرارة الى المصافحة

مصافحة 13 سبتمبر 93

فغابت عنّي أخبارك...

عايدة لماذا ؟ أين أنت ؟

حاولت الاتّصال بك عدّة مرّات

جئتك إلى **بيروت** عام 94

بمسرحيّة " **فاميليا** ".

مسرحيّة حول الذّاكرة

جئتك متقمّصة شخصيّة عجوز

تشبه أمّي وجدّتي...

لكي أعرّفك بـــهما...

و لم تأتي...

ورجعت في 95

بـــمسرحيّة " **عشّاق المقهى المهجور**"

و لم تأتي

رجعت لأعرّفك بأمّ جزائريّة

تعيش مأساة أخرى

وقدّمنا عرضا لنساء فلسطينيّات

جئن من **صيدا**...

و لم تأتي

لماذا ...؟...

أين اختفيت ؟

أين كنت ؟

في برج البراجنة ؟

في النهر البارد ؟

لماذا لم تأتي إلى بيروت

عايدة...

أين أنت ؟

كيف أصبحت ؟

أما زلت صامدة ؟

أم استسلمت كالكثيرين هنا وهناك ؟

شكّوا...

فاكتفوا بالدّفاع عن مصالح شخصيّة

نسوا أوطانـــهم ودفنوا القضيّة..

لا **عايدة** لا

لست مثلهم

رأيتك **عايدة**

أخيرا رأيتك

رأيتك على حافّة قرن يحتضر

تقولين له انتصفت و لم تنصّف

فلن تخرج من غير أن تعدل

هذه المرّة لن تكون شرارة بل ناراً تلظّى

لم تعد تكفي أسطورة الحجر

رأيتك وسط شباب مجنّد

رأيتك تعطين بندقيّة

رأيتك تسعفين جرحى

رأيتك تحملين طفلا رامي حجر

رأيتك تواسين أمّا تنعى ابنا درّة عين

رأيتك بجانب فتاة تصرخ في وجه جنديّ مدافعة عن **بيت الشرق**

رأيتك مع الذين جرفوا منازلهم واقتلعوا زياتينهم

رأيتك محبوسة داخل حدود قرّروها ويحاولون أن يثبتوها

ورأيتك جدّة تحت قصف المروحيّات والطائرات

ماسكة يد حفيدتك ابنة **جفرا**

تروين لها قصّة بيت من حجر

قالوا ضاع واندثر

فتقولين لها اغمضي عينيك وما ترين إلاّ ما أصفه لك

فتصوّرين لها الغرف والأثاث

الألوان والروائح

بـــهرة الصّباح وانعكاس أشعّة الشّمس على السّتائر

ظلمة اللّيل وانزلاق القمر على الوسادة

وتصفين لها طعم حلوى الجدّة

وعذوبة صوت الأمّ مذ كانت تغنّي

ثمّ تـــهمسين لها

انسي رائحة النّار والدّمار

واستنشقي

إنّـــها رائحة البحر ممزوجة بأريج أزهار البرتقال

إنـــها رائحة **يافا**

لا تخافي إنّنا لعائدون إليها عائدون

ثم رأيتك ترفعين رأسك

وتحدّقين في وجهي

قائلة

أنا وحدي مع شعبي

وأين أنت ؟

أبالبكاء نحرّر الأراضي ؟

أبالأحلام والأشعار نمنع قتل الأطفال ؟

أبالكلام نسترجع حقّا سلبته منّا الأفاعي ؟

ماذا فعلت ؟

أين أنت يا من أنشدت لي

" وينكم يا أصحابي
آش صادكم يا ناسي
آش بيه حسّكم قلّ
آش بيه ذراعكم ملّ
آش بيه راسكم ذلّ
آش بيه شرابكم يا أحبابي
آش بيه شرابكم خلّ

فتريني أُمَهمه حائرة
ما العمل ؟
مددت يدي فقطعوها
أهديت دمي فهدروه
صرخت فأضاعوا صوتي في غوغاء خطاباتــــهم
فاكتفيت بعدّ الموتى والتصدّي للنّسيان
أعترف يا **عايدة** أنّك أصبحت بطلة مسلسل تلفزيونّي
أعترف
لكن ما العمل ؟
ما الحيلة للوصول إليك ؟
كيف أنسى خوفي

واتجاوز جبني ؟
كيف أتحمّل العيش بعد فقد موتاي
وأتحدّى الموت مثلك ؟
عايدة يا عاشقة الحياة
لا تديري وجهك عنّي
ولا تيأسي منّي
فأنت نجمتي التـــي تـــهديني للطّريق
خاصّة اليوم
اليوم والأرض فيه ترتعش
تحت أقدام عملاق متجبّر وغاضب
أصابوه في عينيه
فهدّد وتوعّد من لم يسانده
ووعد بأرض لمن يسكت
لكنّك لن تسكتي
تريدين **يافا** ولا شيء غير **يافا**
وستصلين إلى **يافا**

أبعدوك
وتناسوك

قالوا لك لست من هنا

ولا حقّ لك في العودة

لكنّك صامدة **عايدة**

البيت لك

والمفتاح عندك

عايدة

لوكنت عصفورة

لأخذتك على جناحيّ وطرت

ولرفرفت بك على أرض فلسطين

محلّقة فوق سهولها وتلالها

جبالها وحقولها

تينها و زيتونـــها

من حيفا إلى نابلس

ومن القدس إلى يافا

ولوقعت بك على غصن شجرة البرتقال

في بستان بيتكم

في حيّ الرشيد في يافا

عايدة

شكّي في كلّ شيء ...إلاّ في العودة
حياتنا قصيرة
أمّا الزّمان طويل
لو كان موش انت **جفرا**
ولو كان موش **جفرا** بنت **جفرا**
المفتاحُ عندك
ولا تنسي
بيتك من حجر
وسقفه قرميد
وحوله بستان
مزروع ليمونا
وبرتقالا
وأمامه البحر

إصـــدارت دار الـجـنـوب لـلـنـشـر

سلسلة "عيون المعاصرة"

محمود المسعدي
حدث أبو هريرة... قال
تقديم توفيق بكار

الطيب صالح
موسم الهجرة إلى الشمال
تقديم توفيق بكار

حنـا مينـه
اليـاطـر
تقديم الرشيد الغزّي

محمود المسعدي
الـســد
تقديم توفيق بكار

البشير خريّف
الدقلة في عراجينها
تقديم الطيب صالح

عبد الرحمان منيف
شرق المتوسط
تقديم حسين الواد

محمد المويلحى
حديث عيسى بن هشام
تقديم محمود طرشونة

إميل حبيبى
المتشائل
تقديم توفيق بكار

جبران خليل جبران
النبى
تقديم ثروت عكاشة

محمود درويش
مختارات شعرية
تقديم توفيق بكار

علياء التابعى
زهرة الصبّار
تقديم هشام الريفى

صنع الله إبراهيم
اللجنة
تقديم حسن الصادق الأسود

فؤاد التكرلى
موعد النار
تقديم توفيق بكار

أدونيس
مختارات شعرية
تقديم عبد ا لله صولة

جمال الغيطانى
الزينى بركات
تقديم فيصل درّاج

عروسية النالوتى
تماس
تقديم يوسف الصديق

فرج الحوار
وقائع الغربة والأشجان
تقديم عبد العزيز شبيل

حسن نصر
دار الباشا
تقديم محمد القاضى

محمد الباردي
على نار هادئة
تقديم محى الدين حمدي

محمد على اليوسفى
شمس القراميد
تقديم فؤاد التكرلي

محمد البساطى
صخب البحيرة
تقديم توفيق بكار

البشير خريف
برق الليل
تقديم فوزي الزمرلي

محمود المسعدي
من أيام عمران
تحقيق وتقديم محمود طرشونة
قراءة توفيق بكار

محمد فوزي الغزي
آرانخويز أو رجل المعراج
تقديم محمد القاضى

سلسلة "مفاتيح"

حسين الواد
مدخل إلى شعر المتنبي

عمر الشارني
المفهوم في موضعه

شكري المبخوت
سيرة الغائب سيرة الآتي

القاضي / صولة
الفكر الإصلاحي عند العرب

محمد الهادي الطرابلسي
تحاليل أسلوبية

الصادق قسومة
النزعة الذهنية في رواية الشحاذ لنجيب محفوظ

عبد القادر المهيري
أعلام وآثار من التراث النحوي

جلال الدين سعيد
معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية

حسين الواد
البنية القصصية في رسالة الغفران

عبد السلام المسدي
في آليات النقد الأدبي

عبد الفتاح ابراهم
مدخل في الصوتيات

محمد الخبو
مدخل إلى الشعر العربي الحديث

محمد محجوب
هيدقر ومشكل الميتافيزيقا

مقداد عرفة منسية
علم الكلام والفلسفة

فتحي المسكيني
هيغل ونهاية الميتافيزيقا

محمد القاضي
تحليل النص السردي

حسين الواد
اللغة الشعر في ديوان أبي تمام

الصادق قسومة
طرائق تحليل القصّة

سلسلة "معالم الحداثة"

حسين الواد
تدور على غير أسمائها

ط. البكوش/ص. الماجري
في الكلمة

علي عبد الرازق
الإسلام وأصول الحكم

أحمد حسين أمين
دليل المسلم الحزين

محمد الناصر النفزاوي
محمد كرد علي المثقف وقضية الولاء السياسي

ع. المزغني/س. اللغماني
مقالات في الحداثة والقانون

فتحي بن سلامة
تخييل الأصول

الهادي خليل
العرب والحداثة السينمائية

حياة عمامو
أصحاب محمد

رجاء بن سلامة
الموت وطقوسه

خالد الوغلاني
صورة الرحيل في شعر المتنبي

أنور لوقا
أبو حيان التوحيدي وشهرزاد

سلسلة "لزوميّات المقال"

بارمينيدس
القصيد

سبينوزا
علم الأخلاق

سبينوزا
رسالة في إصلاح العقل

جاك ديريدا
صيدلية أفلاطون

فولتير
كنديد

سبينوزا
كتاب السياسة

سلسلة المسرح الحي"

توفيق الجبالي
كلام الليل

محمد إدريس
إسماعيل باشا

فاضل الجعايبى
فاميليا

جليلة بكار
جنون

Fadhel Jaïbi
Les Amoureux du Café Désert

أحمد حاذق العرف
المسرح التونسي وعوائق التجاوز

كتب في غير السلاسل

م. الشرفي/ع. المزغنى
أحكام الحقوق

عبد السلام المسدي
قضيّة البنيوية

محمد الناصر النفزاوي
فارس وبيزنطة والجزيرة العربية

توفيق بكار
قصصيات عربية

توفيق بكار
شعريات عربية

توفيق بكار
مقدّمات

مسرح علي الدعاجي
(الجزء الأوّل)

مسرح علي الدعاجي
(الجزء الثاني)

حياة عمامو
إسلام التأسيس ببلاد المغرب

حسن حسنى عبد الوهاب
خلاصة تاريخ تونس

وديع بن ابراهيم
في التعامل مع النص الأدبى

فتحى انقزّو
هوسرل واستئناف الميتافيزيقا

محمود بيرم التونسى
مذكراتي

محمود المستيري/صالح عطية
أفغانستان: السياسة الغائبة والسلام المسلح

ادموند شارل رو
رحّالة كنت

شفيقة الشعبوني
من الموضوع إلى المقال الفلسفي

حسين الغربي
مع أدباء البكالوريا
(الأدب القديم)

حسين الغربي
مع أدباء البكالوريا
(الأدب الحديث)

Jean Fontaine
Propos sur les littératures tunisiennes

Ali Mezghani
Lieux et non-lieu de l'identité

George Khaïat
Sfax ma jeunesse

Anastasia Manstein-Chirinsky
La Dernière Escale

Houda Karim
Lézardes

Noureddine Kridis
Communication et Systémique

Mongi Smida
Aux Origines du commerce français en Tunisie

تمّ طبع هذا الكتاب بالمطابع الموحّدة

6، شارع عبد الرّحمان عزّام
1002 تونس
ماي 2002

كيف أحكي عن النكبة ؟
كيف أحكي عن جرح غارق ساكن فينا منذ سنين ؟
جرح ورثته عن عائلتي وسأخلّفه حتما ميراثا لإبني..
أنا لست سوى امرأة في عالم يحكمه هازمو العرب
لكنّني فنّانة والفنّانون قد يتناسون ولا ينسون جروحهم
يعرّونها حتما ويكشفون عنها ثمّ يتّخذون منها
منبعا لإبداعاتهم
لم أولد في الأرض المغصوبة ولا حتى في البلدان المجاورة
لم أعش الحروب ضدّ العدوّ أو الإخوان العرب
لذا لن أحكي عنها.
لكنّني عشت الكبت والإهانة والألم الشديد
لكلّ ما جرى كلّ هذه السّنين
... فما العمل سوى إطلاق صرخة غضب بعيدا عن الخطابات
السّياسية والشّعارات الرنّانة...
صرخة ألم وأمل على خشبة مسرح.

جليلة بكّار



الثمن 4.500 د.
ISBN : 9973-844-11-4